بورصة الحب

وقع الحادث الجلل بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت تلقب بالعظمى وما هي بالعظمى اذا قورنت بالحرب الأخيرة . وقع عند « البلاج » الأكبر في رمل الاسكندرية في المقهى المكتظ بالنظارة الى المتداعين في الأمواج اللاجئة الى الجوّ وقد خفت حدتها وهبطت قسما ، والى المتمرّغين على الرمل والمتقافزين بالكرات .

كان الأستاذ فريد مجيد جالساً لدى خوان وحده وفي يده جريدة وناظراه يطوفان بالجلاّس تارةً وبالمتداعين أخرى . واذ وقعت عليه سيدة بثوب أسود ممشوقة القوام أسيلة الخدين كحلاء عجلاء دائمة الابتسام ، وهي ترمي ببصرها الى هنا وهناك تبحث عن مكان . فلم يدعها تطيل الوقوف . فوقف وقال : تفضلي يا سيدة اجلسي فأخلي الخوان لك .

فقالت : لا والله . لن تترك مكانك . عيبٌ ان أقعد وأنت قعود .

وتعلقت على كرسي آخر لدى خوانه وقالت : يا للذوق هناء ويا لقلة الذوق هناك .

وأومأت الى خوان خلفها وقالت : اما لاحظت يا بك اني قبل أن أترك مكاني المجاور لك ألقيت صدر الكرسي على الخوان لكي يُعلم ان المكان محجوز . فإذا بهؤلاء شغاره بلا استئذان كما ترى .

حقاً إنهم بلا ذوق . وأوشكت ان أعترضهم لكي أبلغهم ان المقام محفوظ لغيرهم . ولكني خشيت ان أسمع ما لا يرضيني لأنهم يعلمون كما أعلم ان المكان محجوز . وربما كانوا أصدقاء الحاجز .

— لا . لا . لست أعرفهم . وإنما أخاف التثقيل عليك يا بك .

— تثقيل ؟ إن مثل هذا اللطف الأثيري يا سيدتي لا يوزن بميزان بل يحمل على أجنحة الملائكة

— لا بدع فإني أشعر إني في جوّ ملائكي لطيف جداً . بيد أني أخشى أن يكون المكان محفوظاً لاصدقاء تنتظرهم .

— لا أتوقع ان أتشرّف بأصدقاء أشرف من هذا الشرف يا سيدتي . ولا أتوقع

مروراً أسرّ لي من هذا السرور . فالمكان مكانك وان كان لا يليق بك، ولكن ليس هنا أليق منه .

— أيمكن يكون مكانٌ أليق من المكان الذي يقيم فيه مصدق الذوق ياسيدي . وإنما اذا عاد الصديق الذي كان معي ....

— يجلس مكاني وأمضي ياسيدتي .

— يا سلام ! لم أرَ في حياتي أرق من هذه الرقة السمحة .

— بلى . أنتِ .

فابتسمت ملءَ شفتيها وقالت : أظنني أصبت اليوم حظًّا سعيداً لم أصب أسعد منه في حياتي . فلا أنسيه . أظن حضرتك شاعرٌ . ولعلك أمير الشعراء .

أستغفر الله ياسيدتي . لست شاعراً وإنما أنا لسان الشعراء . أنا صحفي ينشر في صحيفته أجود الشعر وأطربه . واسمي فريد مجيد .

فاختلجت وقالت مبتسمة مازحة : ويحي وقعتُ بين براثن الأسد . لا أدري أي نصيب يكون لي من قلم الصحفي المرهف الحاد .

— نصيب الزهرة النفيسة من تحفة الصانع .

— صحيفة عربية أم أفرنجية ؟

— صحيفة العنين جميعاً . أقلب العربي الى الأفرنجية . والأفرنجي الى العربية .

— تُ درك ! أليست صحيفتك « جريدة الوطن » .

— تشرفت جريدتي الآن بأن يبدو اسمها درة غالية من بين عقيق شفتيك ياسيدتي .

— إذن يجب أن أحاذر في الكلام أمام الصحفي لأن أقل هفوة لسان تُحسَب عليّ .

— مهما فرّطتِ ياسيدتي لا يمكن أن يصدر من هذا الفم العذب إلاّ الأدب الرائع . فاطلقي لسانك التي الطاهر ولا تخشي عثاراً . فلا يخرج من شاطىء الأدب إلاّ الدر النفيس

— حقًّا ياصديق . لا أقدر أن أجاريك بهذه المجاملات التجيلية .

— إنما هو تجيل في موضعه ياسيدتي . اذا لم أعطكِ حقكِ من الوصف أجرم جريمة تستحق عقاباً .

— لا ريب أنك شاعر، فانك لا تنظم فتكون باخساً الشعر حقه .

— هل قرأتِ لي شعراً في جريدتي ؟

— الحق أقول لك أني لا أقرأ في جريدة الوطن الاّ الأخبار والبورصة فقط لأني أعتمد على أقوال مكاتبكم البورصجي .

— أتضاربين في البورصة؟

— اني منغمسة في المضاربة في هذه الأيام. فقد كان زوجي رحمه الله سمسار بورصة. وذلك السيد الذي رأيته معي كان صديق زوجي وهو مضارب كبير فشجعني واشتريت الي قنطار قطناً منذ شرع القطن يرتفع. فاذا بعت بسعر اليوم أربح ٣٥ الف جنيه تقريباً.

— إذن فاذا تنتظرين؟ لماذا لا تبيعين اليوم؟

— انتظر الى أن يصعد السعر الى المئتي ريال للقنطار. فأخرج رابحة نحو ستين الف جنيه. ألا تضارب أنت؟

— أنا؟ إن مضاربة رعناء كهذه — لا تؤاخذيني — لهي القمار المنكر، وأنا أكتب ضد القمار. فكيف أضارب.

— ولكنها فرصة سانحة نادرة للكسب. ألا تحب المال؟

— لا. لماذا كثرة الألوف؟

فهزت قبضة يدها وضربت بها الخوان ضربة خفيفة لطيفة وقالت: يالله. المال قوة.

— وأنا عندي قوة أعظم من قوة الستين الفاً. ماذا تعمل ألوفك هذه وفي الدنيا ملايين أمثالها. لا قيمة لألوفك هذه إلاّ حين تبتاعين بها شيئاً تستمتعين به. فبماذا تتمتعين سوى انك تعيشين عيشة الترف والبذخ. وهذه عيشة يعيشها ألوف من الناس.

— عجباً. وما قوتك أنت؟

— أنا عندي المورد الذي يغنيني كما تمتلك الستون الفاً، وعندي نفوذ يحسب له الناس والهيئات الرسمية وغير الرسمية وأصحاب الاعمال الكبرى الحساب. بهذه القوة يمكنني أن أزعزع البورصة التي تضاربين فيها.

فاختلجت متهقهة وقالت: يا لطيف ألطف. بربك مهلاً الى أن أصفي حسابي في البورصة وأقبض ألوفي.

— أخاف يا سيدتي أنك لا تقبضين شيئاً إذا لم تسرعي الآن وتصفي حسابك.

— لا أصفي قبل أن يرتفع السعر الى المائتي ريال.

— قابلي مكاتب جريدتي البورصجي واستشيريه في الامر.

— صاحبي الذي كان معي هنا خبير جداً، ولقد أصبح الآن رابحاً ٣٠٠ الف جنيه. وهو يؤكد لي أن سعر القطن لا يقف قبل المائتين.

فهز فريد رأسه وقال ضاحكاً: قصور في الهواء يا....

— اسمي سعاد.

— يا سيدة سعاد ، ها صاحبك مقبل ، إذ شئتِ فتلتقي غداً في كازينو الشاطئ فهو أقرب للبورصة من هذا البلاج ونتم نتكلم مليًّا .

وتركهما معاً ومضى .

***

كانت نهاية الساعة الأولى بعد الظهر في اليوم التالي حين أقبلت عليه سعاد برجه مشرق في كازينو الشاطئ . وقبل التحية قالت باسمة : أما قلت لك أن الشطن سيصعد اليوم . لقد أقفلت البورصة على ١٨٥ ريالاً للقنطار .

وجلست . وقال : أوَما بعتَ حتى الآن ؟

— كلاَّ لن أبيع الاَّ بمايتين .

فقهقه ملء فيه وقال : وأظن الذين يشترون بمائتي ريال منك لا يبيعون إلاَّ متى ارتفع السعر الى المايتين وخمسين . فالأفضل ألاَّ تبيعي . هل تتفضلين بأن تتغدي معي ؟

— أوه . بألف الف شكر . أتغدى بكل شهية لأني مسرورة .

فقال مازحاً : لماذا الشكر وستدفعين ثمن الغداء من الستين الفاً المنتظرة . أليس كذلك ؟

— طبعاً طبعاً

— قولي لي ماذا تفعلين بالستين ألفاً متى صارت بيدك

— سأشتر بالمضاربة . اشتري أسهم القنال مثلاً (ضاحكة) ولكن قل لي ما قولك اذا اشتريت « جرنالك » وتبقى أنت رئيس التحرير العربي وأنا رئيسة التحرير الافرنجي

فقهقه وقال : انها فكرة بديعة لم تخطر على بال مضارب . كم تدفعين ثمن الجريدة ، وكم تعينين لي ماهية .

— أدفع ثمن الجريدة خمسة آلاف جنيه . ألا تكفي ؟ وماهيتك خمسين جنيهاً في الشهر . « كويس كدا » ؟

— كثر الله خيرك ... الستون ألفاً التي تُمثِّلين نفسك بها لا تكفي ثمن الجريدة

والثلاثماية جنيه ماهية لي تكفي لأجل خاطرك

— وي . وي . أنت شهاب غير وهّاب . هل تكسب أنت هذا المبلغ الآن ؟

— أكسب ضعفيه . ولذلك قلت لك ان الستين ألفاً لا تكفي لأنها لا تأتي بربح يساوي المكسب الذي أكسبه .

— اذن أنشىء أنا جريدة جديدة لنفسي . ماذا يعنيني ؟

— تضيعين الستين ألفاً في ستة أشهر . هذا ان حصلت على الستين ألفاً .

— يا لله . أراك دائماً متشائماً بشأني . الستون مضمونة .

— اذا كنتِ واثقة فأنصح لكِ أن تعفي حسابك غداً صباحاً بسرعة ولو صُفّيَت الستون ألفاً ناقصة .

— يا لله . على مَ تبني هذا التعجيل ؟

— على أن تصاعد ثمن القطن بهذا القدر الباهظ جنون مطبق . لا يوجد في سطح الكرة الأرضية مصنع غزل ونسج يشتري القطن بمابتي ريال [1] . فكم يبيع نسيجه اذن ؟

هزّت رأسها غير مقتنعة بهذا الكلام . ثم قالت : أكلمك جدّيًّا الآن . هل تشاركني بجريدة الوطن وأدفع لك نصف ثمنها عشرين ألف جنيه ؟

— أشاركك بها من غير أن تدفعي ثمناً البتة اذا شئتِ .

— كيف ؟ لماذا ؟

إذا شئتِ أن تشاركيني في الحياة والفكر والآمال، فشركتك هي أغلى ثمن . أقدم لك نصف الجريدة مقابل رضاك بهذه الشركة . فما قولك ؟

فاكفهرت قليلاً وابتسمت بسمة الابتهاج وقالت . هذه مسألة خطيرة . مسألة فيها نظر . سأجاوبك بعدئذٍ .

* * *

في اليوم التالي صدرت جريدة الوطن وفيها التلغراف التالي :

(١) بعد معاهدة الحرب العامة ارتفع القطن الى ٢٠٠ ريال بالنسل ثم تدهور بعد ذلك الى ٤٠ ريالا .

« قابل مكاتب جريدة نيو اورليانس الأميركية السنر هوفان رئيس بورصة القطن في نيو اورليانس في ولاية لوزيانا في أميركا وسأله عن رأيه في تصاعد أسعار القطن في جميع مصادره . فأجاب ان هذه الأسعار المتصاعدة غير معقولة لأنها غير طبيعية . فالمصانع تفضل أن تقفل أبوابها وتنتظر الموسم القادم على أن تشتري بهذه الأسعار الفاحشة لأنها لا تستطيع أن تبيع منسوجاتها بأسعار فاحشة »

وما انتشرت جريدة الوطن بهذا التلغراف المفاجيء حتى ارتجّت بورصة القطن وشرع مالكو القطن يعرضونه بحسب السعر الأخير وبأقل منه فلا يتقدم لهم شاروت . وأقفلت البورصة على سعر ١٥٠ بعد أن كان السعر ١٨٥

في اليوم التالي اجتمعت سعاد بالأستاذ فريد في كازينو الشاطيء وهي في غاية الاضطراب وقالت : ويلاه . البورصة في انهيار يا أستاذ فريد . عرضت اليوم بسعر ١٢٠ فلم أجد شارياً وأقفلت البورصة بسعر ١١٠ ريالات

— اذهبي غداً صباحاً باكراً جداً واعرضي البيع بسعر ٥٠ ريالاً ، فاذا نجحت بهذا السعر فاشكري الله .

— ويلي . كيف أخسر ستين ألفاً بلفظة فم .

— خير أن تخسري الستين من أن تخسري كل شيء . هل دفعت كل الثمن الاصلي أم عليك منه دين ؟

— لم أدفع إلا ستة آلاف وهي كل ما كان عندي . هي تلك الثمن . والبنك دفع الباقي . ان هذه الكارثة نتيجة التلغراف الذي نشرته في جريدتك يا أستاذ . أما كان يحسن بك أن تحذرني قبل أن تنشره .

حذّرتك مراراً ونصحتك كثيراً فلم تقبلي نصحي . ولعلك كنت تستخفين بقوتي الى أن شعرت بها حين هزت البورصة وزعزعتها ، وهي تتداعى الآن . الويل للمضاربين الهوج الرعن . اسرعي غداً صباحاً وبيعي بأي ثمن لأن « مستبلك » لم تبق لها قيمة .

* * *

وذاع تلغراف جريدة الوطن في جميع أوروبا وأميركا الى أن ورد الى جريدة التيمس

تلغراف من نيو أورليانس (ونقل عنها الى كل العالم) « ان هذا الحديث الذي نسب الى هوفان لا أصل له ، بل هو مختلق ولا وجود لشخص في بورصة نيو أورليانس باسم هوفان . ولعلّ جريدة أوطن المصرية مختلقتهُ . ولكن فحوى التلغراف هو الصواب بشأن تصاعد أسعار القطن . فالشخص الذي اختلقه أصاب كبد الحقيقة »

في صباح اليوم التالي جاءت سعاد الى كازينو الشاطئ حيث كان الأستاذ فريد ينتظرها وهو يتوقع نكبتها . أقبلت عليه مقرّحة الجفون متورّمة العينين من البكاء فتلقاها واقفاً قائلاً : مالك يا عزيزتي تبكين :

— آه ـ آخ . ويلي خسرت كل شيء . الأصل والفرع . الربح . ورأس المال أيضاً . فقد وصلني صباحاً خطاب من البنك مستعجل يطلب التصفية ، فذهبت اليه فاذا هو قد سلبني حسابي ولم يبق لي شيء سوى إنه يطالبني بعجز مئتي جنيه . ويلي . خسرت كل شيء خسرت كل شيء . هذا بسبب تلغرافك .

— تلغرافي لم يأتِ بالكارثة بل عجل بها لأن بورصة القطن كانت عتزماً لها الانهيار . المال فداك يا عزيزتي . لا تجزعي . لم تخسري إلاّ المال الذي كان يتطاير في الهواء . وأما شخصيتك التي لا تساويها كل أموال الدنيا فباقية . خذي هذه الوثيقة .

ودفع اليها ورقة فقرأت فيها عقد مشاركة بالجريدة بينها وبينه ولها من الحقوق ما له فقالت : ولكن ليس عندي ثمن النصف .

— إذا شئت أن تدفعي ثمناً فتكرمي بهذه اليد الطاهرة الكريمة فهي أثمن من كل شيء عندي .

قدمت يدها فقبلها قبلات حارة وهو يقول : لقد ملكتِ أعظم ثروة في الدنيا .

وهي قبلته وقالت : حمداً لله لم أخسر شيئاً بل كسبت كل شيء ثمين ونفيس في الدنيا .

وعقدا عقد الزواج في نفس النهار في بورصة الغرام .

ع . ح